احمد الرضواني

الطاحونة

١ ـ الدم ، والصنابير :

فتحت الصنبور ، فسالت دماء . لم اصدق اول الامر . لكن منذ تحققت من ذلك لم ينقطع اندفاع هذا السائل الاحمر اللزج الحار من صنابير بيتي . لا شك ان الامر عام ، بل لا بد ان يكون كذلك ، لان الدماء عندنا سلعة رخيصة ، تباع وتشترى . اردت ان اسال الجيران . غير انني خفت ، ربما عرفت حالتي فتلحق بي تهمة الحمق ، لجمت لساني طويلا ، والدماء لا تنقطع ، تعودت على طعمها شرابا وطعاما . اصبح من اللازم ان اهيم في شوارع المدينة اتلصص الاخبار . واحدق بشراهة وحذر في وجوه الناس ، صرت اعشقها،حتى خيل لي انهم مثلي تقريبا . هم يبحثون بصمت ، واصرار ، عن اشياء ضيّعوها ، وانا لم اضع بعد ، لكني ابحث في اصرار ..

تجرأت مرة ، سالت صديقا يشبهني في كل شيء ، فلمعت عيناه :

ـ عجبا .. وقع لي نفس الشيء .. لكني اصبت بالخرس .

وسالنا معا صديقا اخر ، برقت عيناه ايضا وكان مثلنا ـ يسكنه الخوف . قلت للاول متهكما ..

ـ هناك زواج من نوع ما بين الخوف والصمت .!

تفرقنا ، صار عملنا ـ بكل احتراس ـ ان نسال . وان تحدق عيوننا في اوجه الناس . يا من شربتم الدماء ، اكلتم الدماء! لكنكم احبتي ، تغلفون عقلكم .. وتحرمون نفسكم حلاوة السؤال ، .. فهل تجربون مرة ـ ولو وحيدة ـ حلاوة السؤال ؟. دعوا قلوبكم تخف من مرارة الفزع . دعوا عقولكم ترتاح من قيود خوفها السميك ، فليس في السؤال اثم ! الاثم في قبولكم سكينة مزيفة ، الاثم في الحقيقة المزيفة ..

تساءلوا ، من اين تاتي الدماء ؟

٢ ـ الشارع والليل

من يكون هذا القادم من بعيد ؟ شبح يلتصق بجذوع الشجر ؟ ولعلها اشباح كثيرة ؟. الاضواء في هذا الشارع قائمة تجاهد الظلمة . من يكون هذا الشبح الزاحف في هدوء ، كانه ينتظر فريسة معلومة ؟.ان كان لصا يهون الامر ، فاللص لا يقتل ولا يضر الا الجهلة او المتعجرفين ، او من يستحقون القتل .

بني وبينه مسافة ، تمتلىء بالظلام والسكوت والخوف ، هذه الكائنات لا تفترق ، تنحنح الشبح كانما هو يربط نفسه بتلك الكائنات، تمنيت ان يكون لصا والا يكون احدا اخر ، فهو افضل لي على اية حال ، من السائل الذي يمد يده ، استنتجت فكرة ما بسرعة ثم ابتسمت منها ! « اذا رايت بلدا يكثر فيه القتلة واللصوص ، والسجناء ، فهو بلد لا بد ان اهله رجال شجعان ، فقراء ، لكنهم جهال ينقصهم الوعي » آه ، لا اقدر على الانسلاخ عن طبيعتي حتى ساعة الخوف !. اذا كان لصا يهون الامر . كل ما اتمناه الا يكون احدا اخر ، لست اتمنى ذلك لاخفف عن نفسي ، بل لخوفي من رجل معلوم يتعقبني منذ سالت « من اين تاتي الدماء ؟ »

لا يتركني ليلا ولا نهارا .

ـ قف هناك ، هجم عليّ من وراء شجرة ، كان صحبته رجلان من جنسه .

ـ اخيرا ، وجدني هذا المترصد الذي كنت اخاف ان اجده !

٣ ـ اغنية ممنوعة

يا من هو باز ، في لقفاز
يا من هو فرّوج ع القنطرا ونشر جناحو .!
يا من هو تلّيس ، اعطا ظهرو للتفراز
يا من هو ديب ، في لغياب اكثر صياحو..
عمرني ماريت لغزال تمشي بالمهماز
وفرسان الخيل عادوا سرّاحو
عمرني ماريت النخلا تعطي حب الفاز
بعد الثمر ، وتبلاحو ..
اليام ، آليام !. يا بنيتي مالكي عوجا ؟
واش من اسباب عرجتي لي بيه ..؟
تارة تسقيني حليب ، تارة تسقيني حدجا
كيەولى هبه ..
اصدق حتى اعيا ، وقالوا راهافيه تبقى فيه ..
فين غادي بياخويا ، وفين غادي بيا ؟

٤ ـ من هنا جئت

اخذوني ، فتشوا بيتي ، احسست بلذة وهم يفتحون الصنبور ، ويغسلون ايديهم بدمائه ، ثم ضحكوا . فتشوا من جديد . ربما عن شيء تخيلوا وجوده ، حتى ملوا . فاخذوا مكانه كتبا ، واوراقا خاصة، وصورا لاشخاص . سالت :

ـ لماذا تاخذون كتبي ؟

ـ لا بد ، لتثبت انك تسال ، وتعلم الناس كيف يسالون . كنت غبيا حين اعتقدت ان كل ما اخاف عليه ، هو دماء الصنابير ،اذ كيف للدماء ان تجري بدون سبب ! وهم في الواقع يظنون انني اعرف هذا السبب . سالوني :

ـ لماذا فتحت الصنبور ؟

ـ عطشان . ام تراه ينتظر مني ان انتحر عطشا ؟

عادل اديب آغا

تنهض الارض ..

تهرب الارض من موتها في العيون الضنينة ..
انا نقدس موت الرجال الفريد
ونكتب شعرا لمن لا يعود ..
نغني قصائدنا حين يهجر طير العواصف اوكاره ..
قالت الساعة الجامدة :
تموت الفصون الهجينة
تفتح النار ابواب بعث جديد
الا انها لحظة تعشق الارض طعم الدماء بها
يوسع الماء للاوفياء الطريق
ومن لا يعود :
سنكمل خطوته ..
وسنكتب شعرا جديرا به ..
هذه الارض تنفحنا حزنها ..
تستقيل الشفاه .
ويبتديء التيه فينا خطاه
يعلمنا الخوف كيف يجيء الوفاء الفريد
فنكتب شعرا جديرا بمن لا يعود الينا
تقول لنا اللحظة العادية :
اماما .. اماما ..
تكون الخطى زمنا فيه ميعاد شمس الوصول
تكون الدقائق ساحلنا
اننا نفسل الاعين المتخمات انتظارا ..
بليل قتيل
راينا المناديل كيف انطوت في الرمال ..
وكيف ابتدا شجر يمخر الموج ..
هذا اللهاث يشوهنا ..
انـه ..
سمه الخوف ..
او سمّه الافتقاد
سيخسر واحدنا دمعه ..
فليكـن
يخسر القيد ..
تاريخه الاعجمي ..
وليلا طويلا ..
فماذا تبقى سوى ان نراهن بالموت مستقبلا ..
او نبادل جرحا
بسنبلة الفقراء
وماذا تبقى لنا ؟..
تنهض الارض من موتها نحونا
يوسع الماء للاوفياء
ومن لا يعود :
سنكمل خطوته ..
ولعينيه نكتب شعرا جديرا به ..
تهرب الارض ..
او تنهض الارض ..
انا نقدس موت الرجال الفريد .

حلب

ـ قلت لك لا تسال . اجب فورا .
ـ ان من حقي ان افتحه . ادفع الثمـن .
ـ دع الحق للمحكمـة . اريد جوابا اخر .
لكني سكتت . ثم تكلمت .
ـ انتم مجانين .
راسي يدور . لم تعد اذناي تقويان على السمع . ولا عقلي علـى الفهم . احسست رجلي تتحركان .
عند القاضي ، سالني .
ـ لمـاذا فتحت الصنبور ؟
ـ لانني لا اريـد ان اموت !
ـ ولمـاذا لا تنتحر ؟
اجبتـه هازلا :
ـ بل هانذا انتحر ، لكـن بشكل لا يروقكم .
وهكذا نطق القاضي ، فساقوني مجرورا الى :

٥ ـ الطاحونـة

كانت تدور، تدور بسرعة خارقة ، حتى اني لم اسمع ادنى صخب. لم يكـن معي الا بعض الذيـن تساءلوا مثلي ، فهنـا لا يوجد سواهم، ربطني بهم السؤال من قبل ، والان نلتقي في جوف الطاحونة التي توحد بيـن دمـائنـا فتجعلنـا واحدا .

كنا نضحك جميعا .. ونحـن نتحرك بسهولة ويسر ، يساعد بعضنا بعضا على الحركة . استمر الحال كذلك حتى بعـد اختلاطنا . شـيء واحد يستحق الذكر : لقد اصبحنـا بلا عظم ، كان العظم يعـــوق الحركة . ويبطئنا ، فلمـا فصل عنـا لـم تبق الا الدمـاء .

سيعـود كل منـا دمـا يسيـل في صنبور بيته وبيوت الناس . وسيحيا السؤال . « من اين تاتي الدماء ؟» لكننا هذه المرة ، ونحـن في جوف الطاحونة ، تمكنا مـن معرفة الجواب .. فليس الا مـن هنـا تنبـع الدمـاء .

البيضاء ـ المغرب